جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

الارهاب والظواهر الاجرامية الاخرى

ا . د . ماكسويل تايلور

الرياض

1419 هـ - 1999 م

الإرهاب والظواهر الإجرامية الأخرى:
جوانب الشبه والاختلاف (التجارب الأوروبية)

أ.د ماكسويل تايلور

كلية كورك الجامعية - إيرلندا

الإرهاب والظواهر الإجرامية الأخرى:

جوانب الشبه والاختلاف (التجارب الأوروبية)(*)

خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، أو نحو ذلك، أُستخدم مصطلح الإرهاب السياسي بصورة أساسية للإشارة إلى استعمال أو محاولة استعمال العنف والتأثير بشتى الطرق على السلوك السياسي للدول ويسعى دائماً للإخلال بالاستقرار، أو الإطاحة، أو إحداث تغيير جذري في الدولة[1] وفي الغالب - ولكن ليس ذلك على وجه الحصر - ظللنا نميز الإرهاب السياسي في أوروبا على أساس أنه جناح يساري / يميني للتكوينات السياسية[2] - وهذا أمر مناسب وبسيط ومفهوم تماماً ضمن

---

(١) إن أفضل طريقة للنظر إلى ماهية الإرهاب غير معتم بالبيان السياسي هي على أنه أداة سلوكية وطريق متاحة للنصير (مع غيره مما هو متاح) لانجاز نهايات معينة. ولعله مما يسؤ المرء أننا جلعنا ننظر إلى الإرهاب على أنه سلاح فعال متى ما لجأنا إليه. ثم إن المثل الصيني القائل (قتل واحد تخف عشرة آلاف) يلخص لنا الطبائع النفسية الاساسية والعاطفية لهذا النوع من العمليات الحربية الخاصة. لقد أصبحنا نعتاد النظر إلى الإرهاب بوصفه عنفاً (من أسفل) ومهما يكن من شئ فإنني أرى أن هناك تغيراً أساسياً قد طرأ على طبيعة الإرهاب، فبمقدور الدول أن تستخدم الإرهاب - وقد فعلت - بشكل أكبر من المجموعات المناوئة للحكومات في الوقت الراهن.

(٢) هذه الورقة موجهة تحديداً إلى قضايا تتعلق بالإرهاب السياسي من خلال سياق رحيب. وينبغي أن نلاحظ أن تهديدات الإرهاب الرئيسي يمكن أن تبدو بصورة حسنة تتعلق بقضية واحدة من الإرهاب (كالمتعلقة مثلاً بقضايا حقوق الحيوان، حملات زيادة النسل، قضايا بيئية . إلخ.) بالإضافة إلى جانب آخر مهم وهو استخدام التكتيكات الإرهابية عن طريق مجموعات إجرامية منظمة.

(*) ترجمت بتصرف من النسخة الأصلية التي قدمت باللغة الانجليزية. بواسطة هيئة قاقة الصداقة بالخرطوم (قسم الترجمة).

النظريات الثورية، وحتى القوميين الإرهابيين الذين يصرحون بفكرهم أصبحوا بارعين جداً في تصنيف أعمالهم ضمن هذا الإطار الواسع المحدد أيديولوجياً

بيد أن التغيرات العميقة التي حدثت في أوروبا الشرقية خلال هذا العقد تطرح مسألة رئيسة في هذا الشأن. وقد تمت التغيرات بطريقة ضعف نظرنا في استجلاء مغذاها ومغذى أيديولوجيات اليسار، بل وفي استجلاء مغذى المذاهب السياسية جملة باعتبارها قوة دافعة في الشئون الإنسانية وقد قُوّض التصور الخيالي والحديث المنمق عن صراع الطبقات من أساسه، كما أن وضعه كقوة كبيرة محركة للشرعية الثورية، التي كانت قوية جداً في الستينيات، يبدو قد تبخر إضافة إلى ذلك، فإن الدعم الأخلاقي والمالي من دول الكتلة الشرقية السابقة المقدم إلى الإرهاب في أوروبا الغربية قد انتهى فبرز سؤال: هل انتهى الإرهاب السياسي الذي عرفناه في أوروبا ؟

زعم صمويل هنتنجتون في ورقة في عام ١٩٩٣م وكتابه اللاحق «صراع الحضارات»[١] (The clash of civilizations) أن التغيرات في أوروبا الشرقية دلالة على تغيير جذري في المثال[٢]، ويجب أن نطبقه لفهم

---

(١) هنتجتون بي. ب. : صراع الحضارات. شئون خارجية ١٩٩٣م، مجلد ٧٢، رقم ٣ الصفحات : ٢٢-٤٩، أنظر أي تعليقات انتقادية في الشئون الخارجية، ١٩٩٣م، مجلد ٧٢، رقم ٤ الصفحات ٢-١٦، ورد هنتجتون على : شئون خارجية ١٩٩٣، مجلد ٧٢، رقم ٥، الصفحات ١٨٦-١٩٤ وأنظر أيضاً الكتاب التالي : صراع الحضارات واعادة صياغة النظام العالمي. كتب تطشستون، لندن ١٩٩٧م.

(٢) مفهوم النموج المستخدم هنا مأخوذ من عمل كوهن ت. س ١٩٧٠ ـ بناء الثورات العلمية شيكاغو

العلاقات بين الدول والوحدات الأصغر وحلل هنتنجتون بصورة أكثر عمومية ما اقترحه كمنبع أساسي للصراع في هذا العالم المتغير وقال إن هذه المنابع الأساسية سوف لن تكون بصورة أساسية مذهبية أو بصورة أساسية اقتصادية إن الانقسامات الجوهرية في الإنسانية والمنبع السائد للصراع سيكون ثقافيا إن الخطوط الوهمية بين الخطابات ستكون هي خطوط المعركة في المستقبل.

وتعني كلمة حضارة لدى هنتنجتون كياناً ثقافياً «أعلى تجمع للشعب وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب»، ويعرف الحاضرة على أساس أنها «العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والشرائع ومن ثم فهي الهوية الذاتية التي يصبغها الشعب على نفسه» ويبدو معنى كلمة هوية في استعماله وكأنه نفسانياً «سيكولوجي» أكثر من كونه مفهوماً سياسياً وهو أوسع مستوى للهوية يستطيع المرء أن يعرف نفسه على أساسه إلى أبعد مدى وتستطيع الشعوب إعادة تحديد هوياتها ونتيجة لذلك يمكن أن تتغير حدود وتكوين «الحضارات» وبينما تبدو الهيمنة التجارية الغربية تتقدم مع تقدم وتطور التجارة العالمية فإن الهيمنة الثقافية الغربية تبدو وكأنها في تراجع باعتبارها قيماً محلية متجزرة تاريخياً ولغات ومعتقدات وشرائع مصرة على وجودها وكينونتها وهذا اتجاه واضح في كل العالم الغربي وقد يكون نفس الحال مع قوى ثقافية كبيرة. وقد تنهار الحواجز الثقافية أحادية الكيان (Monolihic) مع تضمينات مهمة لتحديد هوية الفرد بنفسه

إن «الخطوط الوهمية» بين الحضارات تتعلق بالحدود المشتركة بينها، وهي عادة ما تكون تاريخية في طبيعتها وترجع أصولها إلى عدة قرون. ورغم أن هنتنجتون يرى أن الدول ستظل أكثر اللاعبين قوة في الشئون الدولية، فإنه يركز كثيراً على الحضارات باعتبارها كيانات واسعة وأساسية

وستكون القوى المحركة للصراع وتقريره ـ الذي تقشعر منه الأبدان ـ للمستقبل هو أن «الحرب القادمة، إن كان ثمة حرب، ستكون حرباً بين الحضارات»

لم يتطرق هنتنجتون بصورة واضحة إلى الصراع الإرهابي في مؤلفه، ولكنني مقتنع أن ما أبرزه من مبادئ واسعة يمكن أن تطبق على الصراع الإرهابي وغيره من أنماط الصراعات. لم تجد آراء هنتنجتون ترحيباً عالمياً، بل وتعرض إلى نقد عنيف. ولكنني أعتقد أنه قد قدم مشاركة متميزة إلى فكرنا حول التغييرات التي تحدث في طبيعة العنف. وتوجد ضمن السياق الواسع الذي حدده هنتنجتون أسباب لنفترض أن الإرهاب سيستمر في التطور والازدهار وسيكون له دوره في تطوير أشكال جديدة من الصرعات. وسيظل استراتيجية جذابة لأي مجموعة صغيرة ساخطة لتحدث تأثيراً لا يتناسب وحجمها. وبالإضافة إلى نظرتنا للإرهاب كأداة تقليدية للصراع الايديولوجي «اليسار ـ اليمين» فإننا سنحتاج إلى معنى أكثر تعقيداً لطبيعة الإرهاب يتعلق، على المستوى المحلي، بطريقة الحياة ويتعلق، على مستوى قومي ودولي، على الضغوط والتوترات بين الحضارات. سوف تظل الايديولوجية عامل تحريك للشؤون الإنسانية، ولكن يحتاج إلى إحلال بدائل أكثر تعقيداً مكان الأصناف التقليدية. إننا معتادون على الإرهاب ذي الموضوع الواحد «مثل التشدد لحقوق الحيوانات أو الإرهاب الرافض للإجهاض»، ولكن ما سيجدُّ هو الإرهاب الذي تقوده؟ ويتعلق بما يسميه هنتنجتون الحضارات وقيمها لكي نفهم الإرهاب السياسي وأفعاله يجب علينا أن ننظر إلى شعور الفرد بالهوية أكثر من نظرتنا إلى فكره السياسي

إن النظر إلى المستقبل يدعونا إلى الالتفات إلى ما هو نفساني «سيكولوجي» أكثر من الالتفات إلى المفاهيم الاقتصادية لكي نفهم عنف إرهابيي المستقبل

إن القومية والدين والعرق (Ethnicity) هي من وجه نظري، القوة الكبيرة التي ستحرك الإرهاب الدولي في المستقبل في أوروبا وقد يرتبط هذا بالخطوط الوهمية السابقة لأوروبا ذاتها، أو ربما تصبح أوروبا ميدان صراع بين حضارات أخرى (جلبها اللاجئون أو المهاجرون محاولين تهديد وإرهاب الإجراءات السياسية أو القوى الأوروبية). ليس مغذى رأي هنتنجتون في تحديده للدلالة المستقبلية للقومية أو الأصولية الدينية، ذلك أننا ندرك أنها عوامل هامة في إنتاج الإرهاب بل في تحديده لتغير بيئة الصراع وإدراك صيغته النفسانية الرئيسية.

أود أن أسوق مثالين لتوضيح هذه الفكرة يتعلق الأول بحوادث في يوغسلافيا السابقة يوضح كيف تحدث التغيرات في طبيعة الإرهاب، أما الثاني يتطرق إلى مواضيع في إيرلندة الشمالية ونهاية الإرهاب

عندما نسبر غور مفهوم هنتنجتون عن الخطوط الوهمية في أوروبا، فإننا نلحظ كثيراً من أفكاره تصوغ ذاتها في البلقان فقد ظهر أن الهوية الصربية والكرواتية والبوسنية ترتبط بصورة متزايدة بالأصول الثقافية والفروع الدينية ورغم أن الأفراد البوسنيين يقاومون تمييزهم كمسلمين، فإن أي زائر لسراييفو أو وسط البوسنة سيدرك بسرعة «الأسلمة» المتزايدة لمجتمع البوسنة لقد بدأت أزور البوسنة في البداية خلال الحرب والحصار ولاحظت زيادة عدد المساجد وعدد النساء اللاتي يرتدين اللباس الإسلامي. وترى بعض النساء أن لبس الخمار هو تعبير عن قيم المرأة الدينية في حين تراه أخريات على أنه بيان للهوية القومية البوسنية. وتكمن أهمية تحليل

هنتنجتون أنه في هذين المثالين تتداخل مواضيع الدين مع الهوية ولاتمنحنا الايدلوجيات السياسية، التي تعمل حسب الأعراف، إلا الشيء القليل ليساعدنا على فهم هذا الصراع

ليس الصراع البوسني مثالاً للإرهاب في حد ذاته وهو بالطبع ـ من وجهة نظر الأمم المتحدة ـ حرب ويتطلب تدخلاً عسكرياً واسعاً (مثل الضربات الجوية) كما أنه ليس ثمة شك في أن حكومات الدول المتورطة ترى هذا الصراع على أنه حرب. ولكن، من ناحية أخرى، لا يبدو لي أن المثال البوسني يمثل مثالاً حياً لآراء وأفكار هنتنجتون وحسب، بل مثالاً عاماً لصورة الإرهاب في المسقبل. لأنه وفقاً للتجربة التي عاشها مواطنو سراييفو، فقد تعرضوا من قبل الدول المتجاورة، إلى ما يبلغ حد سلسلة منتظمة من الهجمات الإرهابية ذات تأثير مثل تأثير الحملات الإرهابية المستدامة، باستثناء أنها كانت في صورة لم تشهدها العصور الحديثة مؤخراً، لقد تميزت الحرب في البوسنة بهجمات فردية ذات أحجام صغيرة تستهدف المدنيين على وجه التحديد. وبدلاً عن السيارات المفخخة العادية التى يستخدمها الإرهابيون «مثل تلك التي يستخدمها الجيش الجمهوري الإيرلندي في لندن» كانت الانفجارات تتم عن طريق القصف بالقنابل وكانت الهجمات الفردية على السكان المدنيين تتم عن طريق الضربات السريعة الخاطفة والقيم النوعية النفسانية هذا «الذي يشكل من وجهة نظري، من عناصر هذا الصراع مثالاً للإرهاب» ـ فيما يتعلق بسراييفو ـ يمكن توضيحها من ملاحظات عمال من شعبين كانوا يعملون في تلك المدينة. لقد كان يُقتل في سراييفو طفل إلى طفلين في المتوسط يومياً حتى تاريخ وقف إطلاق النار في أواخر ١٩٩٤م. كما أن (٢٠ـ٢٥٪) من الموت والجروح التي تعرض لها الأطفال كانت نتيجة لإطلاق الرصاص في

عمليات سريعة خاطفة إن الجراح من جراء الضربات الخاطفة ليست عشوائية مثل تلك التي تحدث نتيجة للشظايا، بل تتطلب توجيه السلاح بصورة دقيقة إن هذا وغيره من الأدلة تبين أن الأطفال كانوا هدفاً مقصوداً في هذا الصراع، وليس مرد ذلك أن للأطفال دوراً في الصراع بل لعل السبب هو أن قتلهم يعتبر وسيلة فعالة لتخويف وإدخال الرعب في نفوس معظم السكان وبهذا المعنى تكون الأهداف الكبيرة للحرب قد حققت عن طريق العنف الإرهابي.

يمكن أن نستقي ثلاث أفكار من المثال السابق تمكننا بصورة عامة من التهكن بالتطورات المستقبلية للإرهاب.

أولاً: يمثل الصراع في يوغسلافيا السابقة استيعاباً للعديد من دروس الإرهاب - الذي لا تقوده الدولة - في أعمال الدولة وكما ذكرنا سابقاً، فإنني مقتنع بأن تكتيك الإرهابيين سيصبح بصورة متزايدة عنصراً في إدارة الدول للحرب وإلى حد ما، فإن تلك التكتيكات في المثال البوسني المذكور قد تكون محكومة بجغرافية البلقان التي تحد من إمكانية التدخل العسكري واسع النطاق، و لكن تبنت الفصائل المتناحرة تكتيك الإرهابيين بسبب فاعليته. ويبدو أن الصراع الحالي في كوسوفو يثبت مصداقية هذا الرأي ولم تكن دروس إنجازات المجموعات الإرهابية الصغيرة التي تحارب الجيوش الكبيرة المنظمة عديمة التأثير على القوى الكبيرة إن الاستثمار في أعمال الإرهابيين يمكن - على سبيل المثال - من تقليل مخاطر جرح الجنود وإصابتهم في الحروب باستخدام جيوش من المتطوعين، وهو أمر ذو حساسية في الولايات المتحدة.

ثانياً: يوضح المثال أعلاه بصورة أكثر عمومية تصعيد الحرب وبربرية

الصراع . ويبدو أن مستوى العنف المرتبط بالصراع السياسي قد أصبح طريقاً لاتجاه واحد، يأخذ المنعة من طرق غير المقبول، وعندما تستخدم القوة في سياق إرهابي، كما هو الحال في المثال أعلاه، فإنه لا تصبح هناك أهمية اختيارية لغير المقبول لأنه يصبح غير فعال، ذلك أن النجاح لا يقاس بالأهداف العسكرية ولكن بصورة أكبر بنشر الأهداف النفسانية ـ السيكولوجية ـ مثل نشر الرعب ومثال ذلك استهداف الأطفال المقصودة[1]

ثالثاً : لقد حدث نمو متطرد في عدد اللاجئين في أوروبا نتيجة للحرب في يوغسلافيا السابقة ثم في كوسوفو وكذلك نتيجة للتوتر الاقتصادي والاجتماعي بصورة عامة في أوروبا الشرقية ويوجد الآن في معظم التجمعات الحضرية الكبيرة في أوروبا كثير من السكان اللاجئين من أوروبا الشرقية وليس ثمة جهود كبيرة لدمجهم في المجتمع، فظلت مجتمعات اللاجئين تحتفظ بهوياتها العرقية والاجتماعية الأصلية وإذا كان تحليل هنتنجتون صحيحاً فإنهم قد يصبحون أداة لتصدير التوتر والصراعات إلى أجزاء أخرى من أوروبا وبما أننا نرغب في تحميل هذه المجتمعات أخطاء غيرها، فإنها ربما تستخدم كمنابع يتطور منها العنف . ومنها بدأ النشاط الإرهابي العنيف وهذه المجتمعات (كما لوحظ ذلك بجلاء في بلجيكا على سبيل المثال)

---

(١) حتى حرب يوغسلايا السابقة كان هذا ظاهرة نادرة نسبياً في الإرهاب الأوروبي . وأن تفجير مدرسة يهودية في لندن في سبتمبر ١٩٩٥م بدأ وكان يستهدف الأطفال في المقام الأول وهذا المثال لحسن الحظ لم يتكرر مع أنه كان يعتبر توسيعاً أكبر لحدود العنف . والمقارنات التي تعتبر اختيار التكتيك القائم على هذه العوامل يمكن أن تكون مع القتلة قاطعي الرؤوس في الجزائر

وعلى العكس من ذلك قد تصبح مجتمعات اللاجئين ذاتها[1] حافزاً تعمل ضده المجتمعات الأصلية لقد أصبحت العلاقة بين تجمعات المهاجرين والعنف السياسي واضحة جداً في بعض أمثلة الإرهاب الذي ظهر وسط مجتمعات الهجرة وليس هناك سبب لعدم حدوث نفس الشئ فيما يتعلق بالتوتر الأوروبي.

لقد ركزت على مثال يوغسلافيا السابقة بسبب معرفتي بذلك الصراع، ولكن يمكننا أن نسوق أمثلة من عدة نزاعات معاصرة في أوروبا مثل أرمينيا وأذربيجان وكوسوفو وسنصل إلى نفس النتائج.

والمثال الثاني الذي أود مناقشته يتعلق بنهاية الإرهاب لن يستمر الصراع أو الإرهاب إلى ما لا نهاية. فإنه لا بد أن يربح أحد ويخسر آخر، أو أن تستنفذ قوة الأطراف المتنازعةويؤدي ذلك إلى وضع حد لأسلحتهم أو على أقل تقدير الدعوة إلى وقف إطلاق النار إن هذه الآراء هي ضرب من الحكمة التقليدية وتبدو من الفطرة السليمة ولكن إذا درسنا هذا الأمر بصورة أعمق فإننا ربما نصل إلى الحكمة التقليدية التي تبدو من الفطرة

---

(١) على سبيل المثال سلسلة الانفجارات بالقنابل في استراليا التي جرحت أكثر من أثني عشر شخصاً منذ عام ١٩٩٣ بمن فيهم عمدة فينا السابق. وقتل أربعة من الغجر في فبراير ١٩٩٦م أثر فخ انفجر عندما كانوا يهمون برفع علامة عليها شعارات عنصرية «عودة الغجر إلى الهند» تسير الهجمات وفق نمط السلاح المختار، الاهداف ودوافع من يصنعون القنبلة. وكل الضحايا المستهدفين أما أن يكونوا مهاجرين أو أناس يساندون حقوق المهاجرين واللاجئين. أوضحت الاثار التي وجدت علي مسرح الجريمة أو التي أرسلت إلى الشرطة أن المجرمين مدفوعون من قبل أشخاص متعصبون ضد الاجانب الذين - حسب ما يعتقدون - يلوثون المجتمع الاسترالي ويعتقد أن مجموعة تسمى نفسها جيش تحرير بافاريا يقف وراء معظم تلك القنابل.

السليمة . ولكن إذا درسنا هذا الأمر بصورة أعمق فإننا ربما نصل إلى فهم يقودنا تحليل هنتنجتون على ضوئه ثانية لنأخذ رأياً مختلفاً نسبياً حول نهاية الصراع عامة ونهاية الإرهاب على وجه الخصوص .

وعلى النقيض من نظرة الحس السليم ، فقد ساق هنتنجتون حججاً مقنعة بأن الصراعات التي تنشأ عن ظروف الخطوط الوهمية من النادر أن تنتهي نهاية تامة . إن مثل هذه النزاعات تتميز عامة بالهدنة ووقف إطلاق النار إلخ ولكنها لا تتميز بمعاهدات سلام شاملة . وليس لها مفتاح للإيقاف والتشغيل (On / Of Quality) لأنها نبعت نتيجة لظروف خطوط وهمية عميقة تتضمن صراعات بين حضارات مختلفة وعميقة الجذور

في الظروف التي ينتمي فيها المتعاملون إلى قيم ثقافية واحدة فإن حدوث الهدنة يعتمد على عاملين :

١ ـ ضعف قوى المشاركين الأساسيين .

٢ ـ تدخل أطراف غير أساسية وموثوق بها ذات مصالح مشتركة ولها قوة سياسية واقتصادية لتحمل الأطراف على الجلوس معاً .

يتفق هذا التحليل بصورة مباشرة مع الوضع في أيرلندة الشمالية . ومن وجهة نظري أن الصراع في أيرلندة الشمالية يمكن أن يحلل وفقاً لآراء هنتنجتون ، بمعنى أن هذا الصراع يرتبط بهوية دافقة بالحياة وليس بأمور سياسية أو اقتصادية . وفي عام ١٩٩٤م وضح أن مختلف الأطراف المتنازعة في إيرلندة قد دخلت في حالة حوار واجتهاد ووصلت إلى نفق مسدود ، ورغم أن الجميع قد اعترفوا بأن تلك كانت هي الحالة إلا أن التقدم نحو وقف القتال كان بطيئاً جداً ، ولم تكن الأطراف الأساسية قادرة على بداية المشاورات التي أدت إلى اتفاق الجمعة الطيبة (GFA) إلا بعد التدخل الفاعل

للولايات المتحدة. يمكن حل النزاعات التي تنشأ بين مجموعات لها ذات الثقافة بتدخل طرف ثالث له ذات القيم الثقافية وله شرعية في إطار هذه الثقافة وموثوق به. ويرى هنتنجتون أن مثل هذه الاتفاقيات عادة ما تكون نتيجة لضغوط مرتبطة بخيانة الطرف غير الأساسي للأطراف الأساسية وفي رأيي أن هذا هو ما حدث فعلاً في إيرلندة الشمالية. فقد وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا كلتاهما مجموعات الإرهابيين الجمهوريين والمؤيدين للملكية تحت ضغط شديد نتج عنه الاتفاق ويبدو لى أن ما سيتبع ذلك هو أن هذا الاتفاق سيقوض إذا رأت مختلف الأطراف في ايرلندة أن في مصلحتها أن تفعل ذلك، لأن مسائل الهوية الأساسية لم يتطرق لها

يصعب وجود ذلك الطرف الثالث في النزاعات بين الحضارات ذات القيم الثقافية المختلفة، ويصعب بل يستحيل تحديد الأطراف التي لا مصلحة لها في الصراع وقد يُعتقد أن المنظمات الدولية يمكن أن تؤدي هذا الدور، ولكنها فشلت لأنه ليس لديها القدرة على صرف تكاليف كبيرة أو تقديم فوائد للأطراف المتصارعة. وقد نزعت المنظمات الدولية على الاعتماد في مواردها على واحد من القوى العظمى وبذلك تدمر أي تماثل في عدم المصلحة. ولا تنتهي الحروب الناشئة عن الخطوط الوهمية بواسطة أطراف لا مصالح لها ولكن بواسطة طرفين : ثان وثالث يجمعهما عون ومساعدة ولهما القدرة على مناقشة الاتفاقيات مع الأطراف المتنازعة وحث أقربائهم على الامتثال وتنجح اتفاقيات وقف حروب الخطوط الوهمية إلى الحد الذي تعكس فيه هذه الاتفاقيات توازن القوي المحلية ومصالح الطرف الثاني والثالث. ولاختصار ذلك، ليس لي أن أفعل شيئاً أفضل من الاستشهاد بهنتنجتون : «إن حروب الخطوط الوهمية تفور من أسفل وسلام الخطوط

الوهمية يتسلسل من أعلى[1] «مع إدراك أن لهذا ملابسات مهمة في إدارة الصراع.

هناك عدة مواضيع متعلقة بالتطورات المستقبلية للإرهاب تستحق الرجوع إليها لا شك في توفر السلاح والذخائر عوامل مركزية في تحديد النشاط الإرهابي. إن السهولة النسبية للحصول على السلاح في أوروبا الوسطى وبخاصة سهولة الحصول على المتفجرات تعني أن مقدرة تزويد الإرهاب بالوقود ما تزال قائمة إذا توفرت الظزوف. وما يثير الذعر أكثر، تقارير حول إمكانية الحصول على أسلحة متقدمة خاصة الأسلحة النووية والجرثومية[2] وقد ظل أمر إمكانية وقوع مثل هذه الاسلحة في أيدي منظمات إرهابية مصدر قلق متزايد لعدة سنوات ويبدو أن احتمال حدوث ذلك قد زادت. إن بعض نقاط الاهتمام المتوقع تتعلق بإرهاب المعلومات لم يحدث حتى الآن سوى هجمات إرهابية قليلة على منشآت أو على نشاط يعتمد على التحكم بالكمبيوتر عدا الضربات الموجهة إلى ما يُظن أنه مواقع سرية حساسة. بيد أن إمكانية إحداث خسائر ضخمة ما تزال قائمة.

ولكي نختم، فإن مركز فهمنا لمستقبل الإرهاب في أوروبا هو نظرة حيل نفسانية «سيكولوجية» الإرهابي. وأعتقد أنه لكي نفهم الإرهابي وجب علينا أن نعرف الإطار والسياق الذي يحدث فيه الإرهاب والشخص الذي يؤدي ذلك العمل الإرهابي. لقد أعطانا هنتنجتون طريقة جديدة للتفكير

(١) هنتجتون أس ب: صراع الحضارات وإعادة تنظيم العالم، تشتون بوكس، لندن، ١٩٩٧م. ص ٢٩٨

(٢) انظر في مقاومة انتشار الاسلحة الكيميائية والجرثومية، إيفلير لوشين، ورقة مقدمة في مؤتمر الماءة المستديرة الأوربي «المظاهر القومية والدولية لمواجهة الجريمة المنظمة والإرهابي» برانسلافا ٢٩-٣١ مارس ١٩٩٥م.

حول إطار وسياق الإرهاب في أوروبا أما مدى صحة ذلك فمتروك للزمن وأما ما لم يتغير فهو القاعدة النفسانية «السيكولوجية» التي يتطور منها الإرهابي والطريقة التي تقع بها ظروف نشوء النزاعات على الفرد. إن أهم عمل للمستقبل هو الفهم الجيد للعلاقة المتبادلة بين تغيير الإطار العام للصراع والعوامل الفردية المرتبطة بالإرهاب.

وغني عن القول أن الإرهاب لا ينشأ عن عامل واحد، إنه نسيج معقد، كما أن الشخص الإرهابي قد تعرض لكثير من الضغوط المتعلقة بالأسرة والمجتمع والهوية، وليس الإرهابي مجنوناً إننا ننزع إلى الاعتقاد بأن الإرهابي لا بد أن يكون مجنوناً بسبب أفعاله البربرية، إذا كيف لنا أن نفهم بخلاف ذلك ؟ وفي غياب أي ظروف سقيمة فإننا نكون قد تُركنا غير مرتاحين بعض الشئ لنواجه - بعبارة نفسانية - حقيقة أن الإرهابي هو مثلنا ويمكن تمييزهم عنا - بالطبع - بسبب أفعالهم، ولكن ليس هناك دليل لنفترض أنهم يختلفون في الأبعاد السيكولوجية عن غير الإرهابيين إن بلاغة الإرهابي تظهر أعماله في معظم الأحيان وكأنها تمثل إهتمامات المجتمع. والحقيقة غير المريحة هي أنه وبمعنى محدد طالما أن تلك المجتمعات تميل إلى رفض فظائع الإرهابي المنفرد، فإنها شديدة الدعم للإرهابي بمعنى عام - هل هذا مثال آخر لتقديرات هنتنجتون ؟ إضافة إلى ذلك. فإن الدعم «العام» يقاوم التغيير بشدة ويسمح بالفظاعات. أياً كان ما تجلبه أوروبا الجديدة، فإن القيم والطبائع الأساسية للشعب ستبقى، وبسبب ذلك سيستمر استخدام الإرهاب في النزاعات لقد أعطانا هنتجتون أرضية لإعادة النظر في آرائنا، لنرى النموذج الناشئ للنزاع في أوروبا، إن نموذج هنتجتون يتفق تماماً مع التحليل النفسي سوف يتعرض إطار النزاع ولكن سيبقى النزاع وستستمر آلة العنف الإرهابي في التأثير على حياتنا

المراجـــــع

1. Taylor, Maxwell. **The Terrorist**. London: Brassye's, 1988.
2. Taylor, Maxwell. **The Fanatics**. Oxford: Brassey's, 1991.
3. Taylor, Maxwell & Ethel Quayle, **Terrorist Lives**. London: Brassey's, 1994.